

# معنى البحيرة

{ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ (١٠٣) } المائدة

جاء في كتب التفسير<sup>١</sup> ومعاجم<sup>٢</sup> اللغة أن الناقة والشاة<sup>٣</sup> وغيرها من الأنعام أطلق عليها اسم **البحيرة من بحر أذنهما** (شقَّ وجدع وخرق أذنهما)<sup>٤</sup>. وهناك رأي أن البحيرة لضخامتها وغازرة لبنها سُبِّهت بالبحر (الماء)<sup>٥</sup>. ولكن يُحتمل<sup>٦</sup> أن تكون تسمية البحيرة من معنى (الاستخلاص والانتقاء والاصطفاء والاختطاع والاختيار).

## جذر بحر في اللغات القديمة الشقيقة

جذر (بحر) بمعنى استخلص واصطفى وانتقى واقتطع (اختار)، ورد بالكنعانية (العبرية)<sup>٧</sup> والأرامية<sup>٨</sup> والأكدية<sup>٩</sup>. وجاء لفظ (بحير) بالتوراة بمعنى (مختار، مصطفى، مُخْلَص، مجتبي).

<sup>1</sup> تفسير الطبري: و"البحيرة" الفعيلة من قول القائل: "بَحَّرْتُ أذن هذه الناقة"، إذا شققها، "أبحرُها بحرًا"، والناقة "مبحورة"، ثم تصرف "المفعولة" إلى "فعيلة"، فيقال: "هي بحيرة". / تفسير السمعاني: البحيرة: هي الناقة... سميت بحيرة من البحر، وهو الشق.  
<sup>2</sup> مفردات ألفاظ القرآن. الراغب الأصفهاني: **بحرت البعير**: شققت أذنه شقا واسعا، ومنه سميت البحيرة/ ديوان الأدب - الفارابي: **البحيرة**: ابنة السائبة من الإبل، بَحَّرْتُ، أي: خَرَقْتُ أذُنَهَا.

<sup>3</sup> تهذيب اللغة - الأزهري: البحيرة الشاة.. **بحروا أذنها أي شقوها** وتركت فلا يمسه احد/ تاج العروس: **البحيرة**: (شَقُّ الأذن) .. بَحَّرَ الناقةَ والشاةَ يَبْحِرُها بَحْرًا: شَقَّ أذُنَهَا بِنَصْفَيْنِ.. (وَمِنْهُ البَحِيرَةُ) .. إذا نُجِحَتِ الناقةُ أو الشاةُ عَشْرَةَ أَطْنِ بَحْرُها

<sup>4</sup> مشارق الأنوار - القاضي عياض: سميت بحيرة لأَنهم بَحَرُوا أَدَانَهَا أي شقوها بنصفين/ النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير: «البحيرة» في غير موضع، كانوا إذا ولدت إبلهم سقبا بَحَرُوا أذنه: أي شقوها

<sup>5</sup> تفسير ابن عطية: قال القاضي أبو محمد: أرى أن البحيرة تصلح وتسمن ويغزر لبنها فتشبه الغزيرات بالبحر، وعلى هذا يجيء قول ابن مقبل: فيه من الأخرج المرتاع قرقرة... هدر الزيامي وسط المهجمة البحر فإنما يريد النوق العظام وإن لم تكن مشققة الأذان./ المحكم والمحيط الأعظم: وقيل البحيرة من الإبل.. وهي أيضا الغزيرة

<sup>6</sup> ولعل هناك احتمالاً آخر أراه ضعيفاً وهو تبحرها وانبساطها في الأرض كالسائبة [تفسير ابن عطية: ويقال «البحيرة» هي التي خليت بلا راع]

<sup>7</sup> إشعيا ١٤ / ١: **وبحر** عود بيسرأل (= وَيَصْنُطِي شَعْبَ إِسْرَائِيلَ ثَابِتَةً) / سفر المزامير ١٠٥ / ٢٦: **أهرن** أشر **بحر**-بو (= وَهَارُونَ مَحْتَارَةً) / أيوب ٣٤ / ٣٣: كي-أته **تبحر** ولأ-أني (=لأنَّ عَلَيْكَ أَنْتَ أَنْ مَحْتَارَ لَأَنَا.) / نحيا ٩ / ٧: أته-هوأ يهوه هألهم أشر **بحر** بأبرم (= أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ الإلهُ الَّذِي اخْتَرْتَ أَبْرَامَ) / صموئيل الأول ٨ / ١٨: ملككم أشر **بحرتم** لكم (= مَلِكِكُمْ، الَّذِي اخْتَرْتُمُوهُ لِأَنْفُسِكُمْ) / تكوين ١٣ / ١١: **ويبحر**-لو لوط أت كل-ككر هيردن (= فَاخْتَارَ لُوطٌ لِنَفْسِهِ حَوْضَ الأُزْدَنْ كُلَّهُ ) / خروج ١٨ / ٢٥: **ويبحر** مشه أنشي-حيل مكل-يسرأل (=وَاخْتَارَ مُوسَى مِنْ بَنِي جَمِيعِ الإِسْرَائِيلِيِّينَ رِجَالاً مُقْتَدِرِينَ) / تثنية ٧ / ٦: بك **بحر** يهوه أهليك لهيوت. (=فَيَاكُمْ قَدْ اخْتَارَ الرَّبُّ إِيَّكُمْ .. لِتَكُونُوا شَعْبَهُ الحَاصِّ) / تثنية ١٢ / ٢٦: أل-همقوم أشر-**يبحر** يهوه. (=إِلَى المَكَانِ الَّذِي يَحْتَارُهُ الرَّبُّ).

## جذر (بحر) في النقوش العربية الجاهلية

جاء اسم (يبحر إيل) في نقوش حضرموت<sup>٤</sup> ومعين<sup>٥</sup>، و(إيل بحر)<sup>٦</sup> بنقوش قتبان. وقد يكون جذر (بحر) في هذه الأسماء بمعنى إيل اختار وأخلص واصطفى واجتبي. وفعل (بحر) بمعنى اختار واصطفى واقتطع<sup>٧</sup> وأخلص<sup>٨</sup>، جاء في نقش سبأئي [وهنشأن عد مريب بشر ثور<sup>٩</sup> ذ **يهبجر** بن قهل، وكل ثور وبعر **يهبجر** بن ...<sup>١٠</sup>]. مع ملاحظة أن فعل **يُهَبَّر** قد يكون لفظه (**يُهَبَّر**) أو (**يُهَبَّر**). وتوضيح النقش: أنشأ (= أخرج، رفع، جعل، وضع، أجرى) عد (=إلى، نحو) مآرب بشر (= لحم؟ جلد؟) ثور ذو (= الذي) **يهبجر** (= يُبَجَّر أو يُبَحَّر، يصطفي أو يُصطفى، يستخلص، يختار، يقتطع) من القهل (= الجماعة؟)، وكل ثور وبعير **يهبجر** (= يُبَجَّر أو يُبَحَّر، يختار، يستخلص، يستقطع، يجتبي) من ... ونقش سبأئي آخر [وهبو و**بحر** وعقبن لبيت ذعمر<sup>١١</sup> عبر<sup>١٢</sup>]. وتوضيحه: وهبوا و**بحروا** = اختاروا، استخلصوا، استقطعوا، استصفوا، ..) وعقبوا (= حبسوا؟ عوّضوا؟)<sup>١٣</sup> لبيت ذي عامر عبراً (=؟).

## شواهد فصحي تدل على معنى (خلص) في جذر (بحر)

دم (باحر وbacherي وبحراني)<sup>١٤</sup> أي خالص. و(البحریت)<sup>١٥</sup> الخالص المجرد. وهذا المعنى قد يفيد أن البحيرة هي التي خلصت للآلهة (صافية، مختارة، مستخلصة).

- <sup>1</sup> [بحر: يختار]، ص ٣١١، من كتاب Joseph A. Fitzmyer, Daniel J. Harrington A manual of Palestinian Aramaic texts
- <sup>2</sup> [بحرو: يختار]، ص ٨٥، من كتاب قاموس اللغة الأكادية - العربية، د. علي ياسين الجبوري
- <sup>3</sup> صموئيل الثاني ٢١ / ٦: شاول **بحر** يهوه (= شاول مختار الرب).
- <sup>4</sup> SOYCE 673: **يبحر**ل بن مهقمم ذجنن/ وجميع النقوش اليمينية القديمة من موقع CSAI: Corpus of South Arabian Inscriptions
- <sup>5</sup> al-Jawf 04.33: **يبحر**ل بن بسل ذحنار/معين 93B: حيو بن **يبحر**ل ذحدرن/معين 93B: جمعت بن **يبحر**ل ذغربت ذأهل موقة
- <sup>6</sup> Moussaieff 12: **أبحر** وألنأد
- <sup>7</sup> المحيط في اللغة: و**البحر** الذي أصابه انقطاع في عدو أو فرغ من بحار... و**البحر** انقطاع الرجل في عدو طالبا كان أو مطلوباً.
- <sup>8</sup> لسان العرب: وأخلص الشيء: اختاره
- <sup>9</sup> نقش CIH 563+956 / مآرب
- <sup>10</sup> MAFRAY حاصي ١
- <sup>11</sup> تذيب اللغة: اعتقت الشيء، إذا حبسته عندك/ تذيب اللغة: أعقبه الله خيرا بإحسانه، بمعنى عوّضه وأبدله
- <sup>12</sup> ديوان الأدب - أبو إبراهيم الفارابي: يقال: دمّ باحريّ، أي: **خالص**. / المحيط في اللغة - صاحب بن عباد: الدّمّ **البحرانيّ** **الخالص**، و**باحريّ** مثله/ اللسان: بحرانيّ أي عبيط **خالص**.. ودمّ باحرّ و**بحرانيّ** **خالص** الحمرة / المحكم لابن سيده: ودم باحري و**بحراني** **خالص** الحمرة / تاج العروس: **البحر**: الدّمّ **الخالص** **الحمرة** .. دمّ **باحريّ**، أي **خالص** **الحمرة**.
- <sup>13</sup> القاموس: **البحريّ** بالكسر: **الخالص** **المجرد** الذي لا يشترط شيء. / اللسان: ابن الأعرابي كذب **بحريّ** و**بحريّ** و**بحريّ** أي **خالص** **مجرد** لا يستر شيء

وجذر بحر فيه معنى القطع<sup>١</sup>، ولكن ليس بالضرورة قطع آذان الأنعام<sup>٢</sup> وإنما قد يكون اقتطاع أو استقطاع ذلك الحيوان (استخلاصه واختياره وانتخابه من بقية القطيع)، وجعله مقدساً للآلهة. ولعل (تَبَحَّرَ الخَبْرَ: تَطَلَّبَهُ)<sup>٣</sup>، غير بعيد عن معنى إرادة استخلاصه واستصفائه.

### شاهد فصيح قد تكون لفظة البحيرة صيغة مبالغة فيه

الشاهد لفظ (باحرة)، وفيه معنى الاصطفاء: [الباحرة: ... و من النوق: الصفيئة]، [وناقة باحرة من نوق بجر وهي الصفايا الغزار] أو معنى الاصطفاء والاختيار [الباحرة من النوق: الصفيئة المختارة]<sup>٤</sup>. فقد تكون لفظة بحيرة صيغة مبالغة في لفظة باحرة أو لغة فيها. وهذا المعنى يشبه ما لدى اللغات الكنعانية والآرامية والأكدية الشقيقة.

وقد يقال أن اشتقاق اسم الباحرة من غزارة لبنها<sup>٥</sup> تشبيهاً لها بالبحر (الماء)، ولكن لا يبدو الأمر كذلك. والأرجح أن الناقة أو الشاة الكثيرة اللبن، نفست عند صاحبها فتخبرها واستصفاهها فسميت باحرة. وهذا مثل الناقة أو الشاة<sup>٦</sup> الكثيرة اللبن، نفست عند صاحبها فاصطفاها فسميت صفي وصفية<sup>٧</sup>.

كما تسمى الناقة الغزيرة بحيرة<sup>٨</sup>. والبحيرة كالباحرة، سميت على الأرجح من اختيارها واصطفائها لا من كثرة لبنها<sup>٩</sup>. سميت (بحيرة أو باحرة) من نفاستها واختيارها واصطفائها (لغزارة لبنها)، وكذلك بحيرة الآلهة من اختيارها لها.

### الخلاصة

قد لا تكون الناقة أو البقرة أو الشاة سميت بحيرة من شق وخرق أذنها ولكن ربما من أنها أُخْلِصَتْ (اختيرت واقتطعت واصطفيت وانتقيت) للآلهة فلا يحل ذبحها أو استعمالها، فكانها (خالصة

<sup>١</sup> المحيط في اللغة: والبحر الذي أصابه انقطاع في عذو أو فرغ من بحر... والبحر انقطاع الرجل في عذوه طالبا كان أو مطلوباً.

<sup>٢</sup> الفائق في غريب الحديث - الزمخشري: فتنقطع آذان بعضها فتقول هذه بحر/ تفسير ابن عطية: فتأخذ الموسى فتقطع آذانها، فتقول هذه

بحر

<sup>٣</sup> اللسان

<sup>٤</sup> القاموس

<sup>٥</sup> المحيط في اللغة - صاحب بن عباد

<sup>٦</sup> تاج العروس

<sup>٧</sup> المعجم الوسيط: (الباحرة) مؤنث الباحر والغزيرة اللبن من النوق وغيرها

<sup>٨</sup> النهاية - ابن الأثير: الصفي: الناقة الغزيرة اللبن، وكذلك الشاة.

<sup>٩</sup> تمذيب اللغة: وناقة صفي: كثيرة اللبن.. الناقة الصفي: الغزيرة/ مقييس اللغة: والصفيئة والصفي، وهو بعير الهاء أشهر: الناقة الكثيرة

اللبن، والنخلة الكثيرة الحنبل، والجمخ: الصفايا. وإنما سميت صفيًا لأن صاحبها يصطفها.

<sup>١٠</sup> تفسير ابن عطية/ تفسير القرطبي: ويُقال للناقة الغزيرة بحيرة.

<sup>١١</sup> تفسير ابن عطية: قال القاضي أبو محمد: أرى أن البحيرة تصلح وتسمن ويغزر لبنها فتشبه الغزيرات بالبحر، وعلى هذا يجيء قول ابن

مقبل: فيه من الأخرج المرتاع قرقة... هدر الزيامي وسط المهجمة البحر وإنما يريد النوق العظام وإن لم تكن مشققة الآذان.

وصفية ومختارة) الآلهة. أي أنها ناقة محرمة محجورة على الناس كما كانت العجول المقدسة عند قدماء المصريين<sup>1</sup> أو كأبقار الهندوس المقدسة اليوم<sup>2</sup>.  
فإنه لم يأمر بتقديس الأنعام التي أنزلها لنا ولم يحظر الانتفاع بها لزمع أنها بحيرة الآلهة (خالصة وصفية ومختارة الآلهة). بل جعل الله الأنعام للإنسان حلالاً بلالاً، سخّرها له يستعملها وينتفع بها (يأكل لحومها ويشرب ألبانها وينتفع بجلودها ويركب ظهورها وتحمل أثقاله)<sup>3</sup>. فلا هي مقدسة ولا ممنوعة، بل مسخرة مذللة.

حامد العولقي

<sup>1</sup> العجل المقدس حبي (أبيس) الذي عبد بنو إسرائيل بعد خروجهم عجلاً مثله

<sup>2</sup> تفسير الطبري: قال أبو جعفر: وهذه أمور كانت في الجاهلية فأبطلها الإسلام، فلا نعرف قوماً يعملون بها اليوم.

<sup>3</sup> [اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ] (٧٩) {وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ} (٨٠) سورة غافر/ {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} (٢١) {وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ} (٢٢) سورة المؤمنون/ {وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} (٦) سورة الزمر/ {لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ} (٣٧) سورة الحج]